Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قراءة نقدية فى بيت من الشعر

أسطورة العربىّ(*)

ليس عبثاً أن يكون المتنبى شاعر العربية الأول على مر العصور، وأن تختزن الذاكرة الجمالية له من الآبيات أضعاف ما تحتفظ لغيره ؛ فهو الذى استطاع فيما يبدو أن يستمثر الخواصّ الأنثروبولوجية للإنسان العربىّ، ويبلور عالمه المثاليّ فى أقمار صغيرة، أطلقها فى سماء اللغة فاحتلت مدارها فى الآفاق المرئية. ومع أن هذا الإنسان يجور عليه التاريخ ويجور عليه الزمن غالباً، وقد سكن البادية والحضر، وانتقل عبر المراحل المختلفة من إقطاعية ورأسمالية، وما زال يعيشها فى آن واحد – إلا أن القرار العميق لوعيه حتى الآن يظل منفلتاً من قبضة الزمن، فلا يحلو له إلا أن يسكن الأسطورة، ويصدق حرفية الزمن، ويبيع الدنيا بأكملها من أجل كلمة حلوة فيعبدها، وهو الذى أنتجها.

والخيط الذى أريد أن أمسك بطرفه الآن هو استمرار العنصر البدوىّ فى وجدان الإنسان العربىّ، وهمينتُهُ على تصوراته بحيث يشكل لب أسطورته ورؤيته لذاته، ولن أقف عند مقولات ابن خلدون الشهيرةِ فى التحليل والتعليل، وإنما أدعوكم – لقراءة هذا البيت الشعرىّ من المتنبى ؛ فالقراءة الصامتة لا تقوى على استحضار جميع عناصره – وإنما لإنشاده والتغنى به ؛ على أساس تمثُّلِهِ كصوت جماعىّ يعبر عن الضمير القومىّ والنموذج المثاليّ للإنسان العربىّ، كما يتم استقطاره جمالياً فى بضع كلمات من الشعر :

الخيلُ واللَّيل والبَيْداءُ تَعرفنى والسيْفُ والرُّمح والقِرْطاسُ

ثم أعرض عليكم قراءتى الصامتة المتأملة له، وأوجزها فى بضع نقاط : الأولى تتصل بتركيب البيت وبنيته، والثانية بالعالم الذى تستثيره ؛ والثالثة بالمدى الذى تصل إليه فى تجسيد أسطورية هذا الإنسان.

أمّا البنية الشعرية لهذا البيت فهى نموذجية ؛ لأنه يكاد وهو جزء من قصيدة طويلة يشكِّل نصاً مكتملاً ؛ إذ يحقق الشرط الأساسىّ للنص، وهو التحديد، وتراتب

(*) عن كتاب "أشكال التخيّل" .